

تحولات شجرة الأرز تتشكل في لوحات لبنانية

«تلك الأرزة التي تقطع» صوفية غنائية لمجددة للديمومة على أرض منهكة

تطور لبنان، هو اسم أطلق على أشجار الأرز، نسبة إلى أساطير تروي أن آلهة الأرض هالها أن تترك جبل لبنان من دون حارس، فاتفقت على أن يكون «أرز الرب» بخضرته الدائمة رصداً في هذا الجبل. وحضر هذا «الرصد» في لوحات الرواد من الفنانين اللبنانيين مكتسباً صفات جمالية مضاعفة أهمها الشموخ، حتى حضر الزمن المعاصر ليتحول فيه الأرز إلى رمز يفيض بالميلودرامية في مجمل الأعمال الفنية اللبنانية الحديثة.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية



منذ أكثر من عشر سنوات كنت في رحلة إلى غابة الأرز في منطقة بشري اللبنانية. كان المطر الخفيف قد توقف عن الهطول ليتيح الفرصة لشمس العصر الذهبية أن ترسل خيوطها العطرة في الهواء.

غادرت المجموعة، بعد أن ألم بي حزن عميق نتيجة مُحادثة مع أحد أفراد المجموعة جري ونحن جالسون على جذع شجرة ميتة رطبها قطرات المطر.

غادرت المجموعة لأسير موهلة دون هداية في الغابة، وما كانت إلا بضعة دقائق حتى بدأت أشعر بحضور أشجار الأرز تلك، وكأنها مُرافقة شخصية تحميني من أفكارٍ وتخفف عني وطأة الحزن وتنهجر علي بحكمة عمرها المقدر بمئات السنين، وقد رأت من الأهوال ما رأت.

بين الجمالية والرمز

اليوم أستعيد تلك الذكرى الموهلة في الوجدان أمام معرض فني أقامته صالة اليس مغيب تحت عنوان «تلك الأرزة التي تقطع».

معرض ضم أعمالاً فنية مختلفة من تصوير فوتوغرافي وتجهيز فني ولوحات ومنحوتات ليست لفنانين لبنانيين فقط، بل شملت أيضاً فنانين فرنسيين وبلجيكيين وإيطاليين.

واللافت جداً في هذه المعرض هو الاختلاف الهائل ما بين ما قدمه الفنانون الأوروبيون واللبنانيون، ففي حين اشغلت معظم أعمال الأوروبيين بالتعبير عن جمالية الأرز، تماماً كما في لوحات الفنانين الرواد اللبنانيين، جاءت أعمال الفنانين اللبنانيين المعاصرين مظهرة للنسق الوجداني والرمزي لشجرة هي خلاصة الأهوال التي تعرضت لها، لتبقى «حية ترزق» في المخيال الفني التشكيلي والتصويري، وليست فقط واقعا في غابة من غابات لبنان المعرضة دائماً للخطر. وإذا كانت أشجار الأرز بارزة في أعمال الفنانين اللبنانيين من خلال خاصية صمودها المطعم بنبذة وجدانية

لم تحضر في معظم أعمال الفنانين الأوروبيين، فقد حضرت خارج جدران صالة اليس مغيب أعمال تشكيلية أخرى بلغت حداً كبيراً من التعبيرية الرمزية والغنائية أرست معالم خصبة لفن أدرك كيف «يُشخصن» الأرز، جاعلاً منه كأنها ورفيقاً قديماً بإمكانه أن يسير إلى جانبه «وجدانياً» كما سار إلى جانبي الأرز الحكيم والشامخ ذات يوم خريفي بارد.

الخفة الفانتازية تهب اللوحات اللبنانية أفقاً مفتوحة وتجعلها خارج إطار التراجيديا المشوومة بالنهايات الحزينة

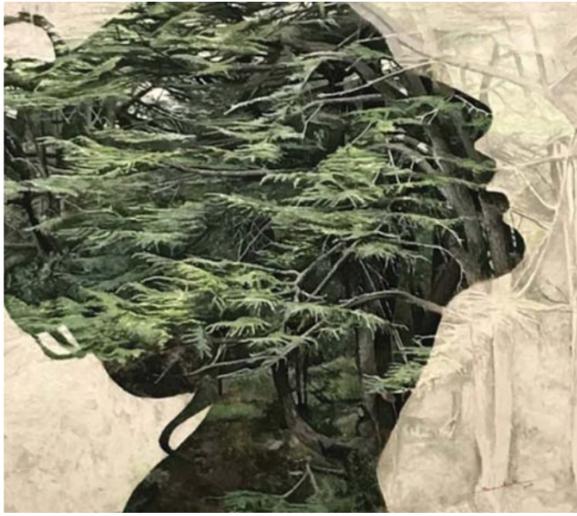
نذكر في هذا السياق الفنانة ساندرا خير والفنان نبيل نحاس والفنانة نجلا حبيش، من خلال أعمال لا يمكن أن نصفها، على اختلافها في قوة التعبير والأسلوب الفني، إلا أنها أعمال ميلودرامية من الطراز الأول، مثلها كمثل تجربة توغل وحيدة في غابة الأرز عند حلول العصر حتى وقوع الحزن، عند غروب الشمس تحت السيطرة.

أعمال هؤلاء الفنانين ليست درامية ولا تراجيدية بالرغم من الشحنة العاطفية الهائلة (على اختلاف درجاتها) الراشحة منها، وذلك لأن فيها «خفة» فانتازية تهبها أفقاً مفتوحة تجعلها خارج إطار الدرامية الجدية وخارج التراجيدية المشوومة بالنهايات الحزينة التي لا مهرب منها.

ثلاث تجارب

قدمت الفنانة ساندرا خير لوحات أعطت فيها لأشجار الأرز وجوه بشر عاديين أو وجوه أنقوشات وطنية مثل وجه فيروز. وجاءت أعمالها بعيدة عن عالم الفولكلوريات المخفّضة دائماً لنبرة وعمق التعبير الفني.

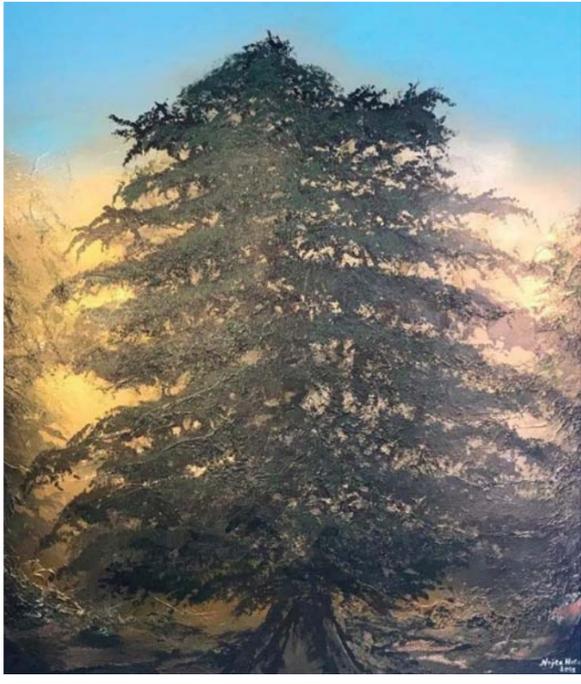
وقد ذكرت الفنانة في إحدى المقابلات الصحافية عن معرضها الذي قدمت فيه لوحات الأرز أنه «الطامسا لتساعت عن هويتنا اللبنانية وما يربطنا ببلدنا



شجرة حفرت عميقاً في الوعي الجمعي اللبناني (أعمال فنية لساندرا خير)

حتى في بلاد الانتشار. وعندما كنت أزور غابة الأرز في الشوف جاعني الجواب الشافي، إذ لامستني ضخامة هذه الشجرة وجذورها التي تعود لآلاف السنين، ففسحرت بتأثيرها غير المباشر علينا والذي لم نحاول يوماً تفسيره».

كما قدم الفنان التشكيلي نبيل نحاس مجموعة من اللوحات ذات الأحجام الكبيرة تخطى فيها بمراحل تصوير أشجار عادية، إذ رفع فيها من مقام أشجار الأرز وصولاً إلى الصوفية الغنائية المجددة للحياة والمظهرة للانهاية للكون،



الأرز كمدخل حميمي إلى الذات ومنطلق للذكريات (لوحات للفنانة نجلا حبيش)

العناوين «هالة الأرز»، و«أشجار الشفاء»، و«الأرز الغامضة»، و«الأرز الذهبية»، و«ورقة أشجار الأرز» و«هبة من الله» و«الصراع ما بين الخير والشر».

وفي هذه الأخيرة، بدت لوحة مُركبة وضعت فيها الفنانة شجرة الأرز بمحاذاة ساحة انفجار 4 أغسطس، فالتقيا في حدة التعبير إن من حيث ضربات الريشة أو من حيث الألوان التي غلب عليها اللون الأسود والرمادي. مجموعة لوحات لا تشبه إحداهما الأخرى تألقت فيها الأرزة وتحذرت الكثير ساردة أشواط ومراحل من حياتها على هذه الأرض اللبنانية.

أكثر من عشر لوحات لأرزات في أحوال وجودية و«تفسعية» مُختلفة، جاعلة منها مدخلاً إلى حميمية الذات ومنطلقاً للذكريات، إما كتلك التي عبرنا بها وعبرت بنا كبشر بعد أن كتب لنا أن نكون من اللبنانيين على عتبة واحدة من الانزلاق إلى الكارثة، أو كأفراد اعترضنا تجارب شخصية بعضها شهدت عليها أشجار الأرز تلك التي كست غابة بشري الساحرة بهيئتها وأسرارها.

وقد أعطت الفنانة لهذه اللوحات عناوين مُختلفة ومناسبة للأفكار والمشاعر التي أرادت أن تترجمها. من هذه

مُعدداً عليها نظارة ذهبي اللون أوحى بأن مصدره «غير أرضي».

والفنان نبيل نحاس حائز على وسام الأرز برتبة فارس من رئيس الجمهورية اللبنانية وحاصل على البكالوريوس في الفنون الجميلة من جامعة لوزيانا، أما الماجستير في الفنون الجميلة فقد أتمها في جامعة ييل في الولايات المتحدة حيث يقيم. له العديد من المعارض الفردية في أوروبا وأميركا ولبنان، كما شارك في معارض جماعية حول العالم. أما الفنانة التشكيلية نجلا حبيش فقد نشرت مؤخراً على صفحتها الفيسبوكية

المغرب يحتفي بالتجربة الفنية لبوشعيب هبولى في معرض استعادي

تعد تجربة الفنان بوشعيب هبولى، الذي يقام له حالياً بالعاصمة المغربية الرباط معرض استعادي يوثق تجربته الفنية الطويلة، حالة مفردة في المشهد التشكيلي المغربي، باعتبار أنه الفنان العصامي الذي عمل منذ أوائل سبعينات القرن الماضي على ابتكار ألوانه الخاصة التي يستلهمها من مرسومه المفتوح على الطبيعة بمدينته أزمو، فأنجنت لونه الرمادي الذي ميّزه، ليصبح موسوماً ب«رسم اللون الرمادي».

الرباط - تتواصل فيلما الفنون بالعاصمة المغربية الرباط، فعاليات المعرض الاستعادي للفنان المغربي المخضرم بوشعيب هبولى، الذي تنظمه مؤسسة المدى إلى غاية الخامس عشر من يناير 2021.

وتفوح الأعمال المعروضة في الحياة الفنية لهبولى، وتبرز الإبداعات التصويرية لهذا الفنان العصامي، التي تم إعدادها بدقة باستخدام تقنية مزوجة على الورق أو على ورق مقوى أو الحبر على الورق.

قال بوشعيب هبولى بخصوص اختيار الورق المقوى والسورق في أعماله الفنية الجديدة، إن هاتين المادتين منخفضتا التكلفة ويمكن استبدالهما بسهولة مقارنة بالقماش، ما يجعل مهمته أسهل أثناء الإنجازات التصويرية. وأكد الفنان المغربي المولود بمدينة أزمو (80 كلم جنوب الدار البيضاء) أن المعرض يرسم مسار رحلته الفنية من السبعينات إلى اليوم، وهو مسار يهتم ببيئته ويتميز بفترات شخصية تتراوح حسب اللحظات والأوضاع.

للافت التشكيلي بالمغرب منذ منعرجاته الأولى، إذ ينطلق هذا الفنان من خلفية تشكيلية أفارت ولا تزال العديد من الأسئلة والملاحظات، وهو الذي شق طريقه عبر ذاتية خاصة، معتمداً على أسلوب التكرار، أي تكرار الموضوعات نفسها والخطوط نفسها والألوان ذاتها.

ولهبولى رؤية خاصة للفنان ويرى الفنان أن «اللون يشوّه العمل، ويمكن أن يكون ضبابياً دون أن يكون حيويًا على الإطلاق». لذلك أثر استخدام الحبر في أعماله، إذ يغمس ريشته «في لون قد يكون أكثر من الأسود».

وتعد تجربة بوشعيب هبولى (من مواليد سنة 1945) من التجارب المؤسسة



إشراقات رمادية تسائل الكون والإنسان

نحو اعتماد اللونين الأسود والأبيض، من خلال تقسيمهما أو بروز اللون الرمادي في بعض الحالات بطرق خاصة وتقنية تشكيلية احترافية. لكن بالنسبة لهبولى فالرمادي لون يفرض ذاته وخصوصيته، وإبراز هذه الخصوصية وهذه الذاتية، يشحنه ببعض الأسود والأزرق والأخضر.



بوشعيب هبولى
اللون يشوّه العمل، ويمكن أن يكون ضبابياً دون أن يكون حيويًا

وفي السنوات الأخيرة، بدأ هبولى يستعمل زيت المحركات المستهلك، ينظفه من الشوائب ويسبكه على الورق، من أجل الحصول على تدرجات الرمادي الغني بالضوء، بل استعمل في هذه التجربة، أيضاً، نوعاً من القماش الشفاف.

ويؤكد النقاد أن هبولى الموسوم ب«رسم اللون الرمادي»، تخصص في توظيف هذا اللون في لوحاته الصغيرة الحجم بهدف خلق التميز في الساحة التشكيلية المغربية، وإبداع هذه الوجوه التي رسمت بتقنية مختلفة عن كل أشكال الإبداع الأخرى، معتمداً على الورق والحبر الصيني باعتبارهما مادتين تدخلان في تجربته الصباغية، منتجا رسومات لوجوه رمادية بعيدة عن الواقع وقريبة من الخيال، وكأنه يكشف من حيث لا يدري، أو ربما وهو يدري، أن ما يقدمه هو ثورة ضد البؤس وضد العدم.

الآن غطست في الوان من البهجة ومن الاعتلال، وناطحت الموضة حتى أصبحت دون مذاق.

يسخر الفنان العصامي في كل معارضه تقريبا من الكائن المغربي الجديد الملبس في رقع العولة، وسط بيئة معمارية لا علاقة لها بالتاريخ المغربي ولا بالهوية المحلية، حيث البناءات الجديدة غطت على معمارية المدينة العتيقة والبيت المغربي، والشقق الحديثة المنمطة على الشكل الهندسي الأوروبي أضاعت الكثير من الدعة التي كانت.

وهو بذلك لا يكف عن إنتاج سخريته اليومية من هذه المظاهر المستجدة في حياة المغاربة، قائلًا «إن المدينة المغربية إذا سارت في هذا الاتجاه، فإن النتيجة على المخيال وعلى الذاكرة الجمعية ستكون كارثية».

ولأن بوشعيب هبولى متمرد على القواعد الجمالية الصارمة ومحاملها التقليدية الثابتة، فقد تعامل في بداية تجربته الصباغية مع القماشة كمحمول فني، ليختار في ما بعد أن يغوص في مصدر آخر، ألا وهو الورق، الذي انسجم كلياً مع تقنيته.

وهو يعمل بطريقة مختلفة للوصول إلى جوهر وجوهه الرمادية وكافئاته الفنية، خاصة أن له كامل الفرادة في اختيار مواضيعه تماماً كما محامله، التي هي بالطبع الورق في أحجامه الصغيرة التي يؤثرها بلون واحد. يرى نقاد الفن أن هناك توجهاً رائعاً وجميلاً في الصباغة المغربية الحالية

الصحافية حول المدة التي يستغرقها في إنجاز أعماله «يستغرق إنجاز أي لوحة عندي ما يزيد عن الأربعة أشهر، لتكون جاهزة للعرض».

وعن ذلك يقول الفنان التشكيلي المغربي محمد العروصي «كل ما يمكنني قوله بكل اختصار حول الفنان هبولى إنه مبدع ومتميز، ينتقى أعماله بدقة وعناية فائقة عبر برنامج صارم من العمل مشرف وراق للفنان التشكيلي لما راكمه من ثقافة بكل صنوفها والتي أغنت خبرته وتجربته، فهو مثال للإنسان والفنان المتزيم، الذي استطاع أن يقدم صورة حقيقية ومشرفة للفنان المغربي الذي كرس اهتمامه وحياته للفن التشكيلي».

وتنفرد تجربة الرسام المغربي المخضرم منذ معرضه الفردي الأول الذي أقامه في العام 1970، بانتهاجه دقاً خاصاً لألوانه التي يستلهمها من مرسومه المفتوح على الطبيعة في مدينة أزمو، فهناك الطين من جهة وتدرجاته اللونية وهناك مسحوق قشرة الجوز، وما تمنح من إمكانات لونية لا توفرها الصباغة الحديثة.

ومن عزلته بأزمو، حيث محضن ذاكرته ومرسمه، يهندس الهبولى العزلة والظلال والألوان الداكنة، محاولاً القبض على الأمكنة وعلى أزمنتها النفسية داخله. ويتميز هبولى بسخرية أليفة من هجوم الأشياء على العالم وعلى حياة الناس وبالأخص حياة المغاربة التي كانت إلى زمن قريب ودعية واليفة، لكنها